محطّات من حياتي

نوف قاسم زبن

المعلمة نوف زبن.

نمر خلال حياتنا بمحطات رئيسية، تبنى فيها الشخصية والذات، لتبدأ بتكوين الصورة الواضحة لكينونتنا، تلك التي تشكلت قطعة فوق قطعة، لتكوين تلك الصورة الواضحة الكاملة لشخصيتنا، بدءاً من مرحلة الأولى لدخول عالم الحياة، أيام الطفولة الجميلة، واكتشاف العالم المحيط بنا، بمساندة من الأهل، وانتقالاً إلى المراحل الأخرى، مرحلة تلو مرحلة، ووصولاً إلى ما نحن عليه الآن. بدأنا من مرحلة الطفولة؛ أجمل مراحل العمر، التي كثيراً ما نذكر تفاصيلها، فنتذكر لمحات عابرة، ولحظات قليلة وجميلة، فتبقى ذكرى نعود إليها، عندما نشتاق إليها بين أزقة البيوت القديمة وشجرة الزيتون العريقة.

في روضتي التي ما زالت إلى الآن ماكثة تدرس أجيالاً فأجيالاً، تعلمت أولى الحروف الأبجدية، وعلى تلك الطاولة الخشبية اجتمعنا، نلعب، ونمرح، ونضحك بين صيحات هنا وهناك. بإبريق أمل يشع ضوء، الأمل لحياة مليئة بالتحديات والمغامرة، ففيها تعلمنا أبسط العلوم، وأسهل من تدرب على كتابة الحروف والتهجئة، وحفظ السور القرآنية الكريمة، كما تعلمنا ألعاباً بسيطة، ورسمنا رسومات عديدة مليئة بألوان الفرح والأمل والسعادة.

انتقلنا بعدها إلى المرحلة الدراسية في مدرسة البلدة، التي أسكن فيها أيضاً، تلقيت المرحلة الابتدائية على إيدي معلمات قديرات، كن مثالاً للقدوة الحسنة من العطاء، والصبر في التعليم، ورسم البهجة على حياتنا، بعدها انتقلت إلى المرحلة الإعدادية؛ وكأننا صعدنا درجة أخرى، لتبدأ حياتنا شيئاً فشيئاً بالوضوح.

لقد تلقيت تعليمي على أيدي معلمات يعتبرن مثالاً يحتذى به في العلم والتعليم، فأذكر -على سبيل المثال- معلمتي العلوم والتربية الإسلامية: مس "منال" ومس "عبير"، تلك المعلمتان من أكثر المعلمات اللواتي تركن بصمة مؤثرة في حياتي، فكانتا قديرتين جداً، وأسلوبهما شيق وممتع بعيداً عن التكليف والملل، وتضفيان روح كشف المعرفة والتعليم بالأفكار واكتشافها بدون كلل أو ملل، وبث روح العلم والتعليم في نفوس الطلبة، وباستخدام العديد من التقنيات البسيطة كاللوحات الفنية أو المجسمات أو التشخيص بالقصة وغيرها من أساليب كانت مؤثرة وهادفة في إيصال المعلومة لنا. كما أثرتا على شخصيتي من خلال روح المعاملة الحسنة من صدق ووفاء وإخلاص، وكأن كلاً منهما تتعامل أم مع ابنتها، وليس علاقة بين معلمة وطالبة، مع مراعاة الاحترام والتقدير لمنزلتهما، وبخاصة معلمة التربية الإسلامية التي تركت بصمة أثرت في شخصيتي، أبرزها الإحسان في التعامل، فديننا دين المعاملة بمكارم الأخلاق الفاضلة، فطبعت تلك الأخلاق حياتي وتعاملاتي

الشخصية والعملية والمهنية. أذكر كيف كانت تدخل علينا في الصف بابتسامة مشرقة، وتلقي علينا تحية الإسلام، وتنظر إلينا بعيونها، وكأنها ترسل لنا أملاً وسعادة في الحياة، وكانت تعاملنا جميعاً، دون تمييز بين شاطر أو غير شاطر، وإنما تحاول أن تعطي كلمات ثناء على طالباتها، مثل "جزاك الله خيراً"، أو "بارك الله فيك"، أو "أنت رائعة" ... وغيرها من الكلمات المشجعة والمحببة لنا، وأسال الله الكريم أن يجزيها كل الخير على عطائها الدائم وجهودها المثابرة.

تعلمنا هنا من الحياة، ومن المدرسة، ومن العلوم المفيدة والشيقة التي فيها بنينا أفكارنا وعقولنا، كي نفكر في أمور حياتنا بطريقة أكثر تعقلاً وتفهماً.

بعدها، أنهيت المرحلة الإعدادية داخل بلدتي، حيث لا توجد مرحلة ثانوية في مدرسة البلدة. فانتقلت إلى القرية المجاورة من أجل استكمال دراستي الثانوية، وهناك أصبحت أكثر إدراكاً لأهمية التعليم والعلم، وتأثرت بمعلمة جديدة لم تبخل علينا بعطائها الدائم من علوم الحياة والدراسة، فكانت مثالاً رائعاً يحتذي به، بأسلوبها الشيق والمريح، وقدرتها على تبسيط المعلومة، وطرحها بأسلوب يصعب معه نسيانها، وقد اتّخذت بعدها قراراً أن أصبح معلمة، وأكون مثلها في ذلك الأسلوب وذلك العطاء الزاخر، وبخاصة بعد أن التحقت بالتخصص الأدبي؛ بسبب ميولي إلى هذا الفرع، ولقد أصبحت مهنة التدريس هي هدفي المهني؛ لما لها من فضل عظيم في بناء جيل قائد ومعتد بنفسه.

اجتزت المرحلة الثانوية بنجاح وتفوق، ثم التحقت بالجامعة، وانخرطت في كلية التجارة والاقتصاد تخصص إدارة أعمال، علماً أنه ميولي كانت تتجه نحو كلية الآداب، تخصص تربية إسلامية، لما كان لمعلمة التربية الإسلامية من أثر كبير في صقل شخصيتي، إلا أنه لسبب ما لم ألتحق بهذا التخصص، ووقع اختياري على دراسة إدارة الأعمال، وذلك لارتباط هذا التخصص بحياتنا اليومية والعملية والمعاملات الشخصية.

وأثناء دراستي الجامعية، نهلت من العلوم والمعرفة ما ينير حياتي، ويمنحها معنى جميلاً وروحاً أنقى وأصفى. وبعد اجتيازي المرحلة الجامعية، التحقت بسلك التعليم في إحدى مدارس الوطن، وبدأت العمل بمهنة "السكرتاريا في المدرسة"، والتمست في عملي هذا روح التواصل والتعاون بين شرائح مختلفة من المجتمع؛ سواء معلمات، أو طالبات، أو مشرفين، أو مجتمع محلي.

نشأت علاقة مميزة بين المديرة والمعلمات والطالبات، وأصبحت الطالبات محور العملية التعليمية، وهذا ما شكل حياتي الثانية، وإلى الآن أواصل المسير والتعلم منهن، ويتعلمن مني بشكل شيق وممتع ويخلو من الملل.

مدرسة الشيخة فاطمة الثانوية

جانب من إحدى ورش الدراما مع معلمات الطفولة المبكرة في روضة كولج في رام الله 2015.